**المحاضرة الرابعة: فلسفة التربية عند الإمام أبي حامد الغزالي**

ترجمة:

هو أبو حامد بن محمد الغزالي الملقب حجة الإسلام زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي، ولد بطوس وهي مدينة في خراسان في بلاد فارس سنة 450 هـ، كان والده إنسانا صالحا أوصى بتعلمه وأخيه لصديقه الصوفي ولما نفذ ما تركه والدهما من مال لجأ الاثنان إلى مدرسة لطلب العلم، درس الغزالي الفقه والجدل والمنطق والفلسفة ففهم ما جاء به أصحاب هذه العلوم فرد عليهم، وصنف في كل علم كتبا أجاد فيها، كان شديد الذكاء قوي المحافظة، سديد النظر وصاحب حجة. تولى التدريس في مدرسة "نظامية ببغداد سنة 484 هـ حيث برزت قدوته وفضائله. كانت حياته علما وسفرا وعبادة. عاد إلى طوس وتوفي بها سنة 505هـ. للغزالي مصنفات كثيرة منها: كتاب "الوسيط" و "البسيط" و "الوجيز" في الفقه، و"إحياء علوم الدين" و "المستصفى" في أصول الفقه و"تهافت الفلاسفة" و"المقصد الأنسى في أسماء الله الحسنى" وفضائح الباطنية وجواهر القرآن....[[1]](#footnote-1)

فكر الغزالي التربوي:

1. **العلم والتعليم:** اهتم الغزالي اهتماما شديدا بالعلم والتعليم لاعتقاده أن التعليم الصحيح يقرب الإنسان إلى الله ويمكنه من سعادة الدنيا والآخرة، ولهذا أعطى للمعلم مكانة رفيعة، واضعا ثقته في المعلم الصالح معتبرا إياه مرشدا ومهذبا قائلا "فاصل السعادة في الدنيا والآخرة هم العلم، فهو إذن أفضل الأعمال". يكسب صاحبه عزّا و وقارا ولزوم الاحترام وعلى الملوك نفوذ حكم [[2]](#footnote-2)، مستدلا بمجموعة من الأدلة النقلية والأحاديث من السنة النبوية الشريفة يخرج منها باعتبار تعلم العلم فرض في جميع الحالات، فحياة القلب بالعلم وحياة البدن بالطعام والعلم معا، قال صلى الله عليه وسلم: "من كان حيا بالعلم لم يمت أبدا"[[3]](#footnote-3).

وشرف العلم كما يقول لا يخفى على أحد من ذوي العقول، مع أنه مختص بالإنسانية، لأن جميع الخصال سوى العلم يشترك فيه الإنسان وسائر الحيوانات. فقد قال عليه الصلاة والسلام: "كن عالما أو متعلما ولا تكن ثالثا" [[4]](#footnote-4)، ويلخص الغزالي هدفه التربوي في الكمال الإنساني الذي هو التقرب إلى الله وتحقيق السعادة، لأن إفادة العلم تهذب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة والمهلكية إلى الخلاق المسعدة، وهو المراد بالتعليم .ولا يقتصر الدور الديني للتربية والتعليم على كونها عبادة بل يتعدى ذلك إلى تحقيق استخلاف الإنسان في الأرض لأن الله تعالى وهب صفة من أخص صفاته للعلماء وهي العلم، وهم مأذونون للإنفاق من خزائنها لأنهم واسطة الله وخلقه.[[5]](#footnote-5)

1. **علاقة التربية والعلم بالتفاعل الاجتماعي:** ينبه الغزالي إلى أهمية الأخذ من تجارب الآخرين في مجال التربية والاستفادة منها ويحصل ذلك عن طريق التفاعل الاجتماعي أو ما يسميه المخالطة والاحتكاك بهم سواء كانوا معلمين أو متعلمين، على اعتبار أن العزلة تحول بين الإنسان وطلب العلم، إذ لا تفيد في ذلك الكتب لوحدها لأن العلم كتاب وأستاذ ومن اعتزل حال بينه وبين القراءة وأنفق جل وقته متعبدا مرددا للأذكار والأوراد ففي مخالطة الناس فوائد تربوية منها الارتياض بما يقاسيه الناس وتحمل ظلمهم وأذاهم إذلالا للنفس وكبحا للشهوات لاسيما لمن لم تتهذب أخلاقه ولم تذعن نفسه لحدود الشرع. لقد فطن الغزالي إلى أن التفاعل الاجتماعي بين الفرد وأفراد المجتمع تعتبر وسيلة تكشف لهذا الفرد عيوبه التي لا يعرفها لو كان في عزلة كما تمكنه من تجاوز وحل بعض الأمراض أو العقد النفسية، ومتى تجاوز المرء عيوبه وتحرر منها شعر بالسعادة. [[6]](#footnote-6)
2. **آداب التعلم وما ينبغي من أموره:** يرى الغزالي أن على الآباء تأديب أبنائهم وتربيتهم، فإذا ما بلغ الطفل أربعة أعوام وأربعة أشهر، وأربعة أيام وجب أرساله إلى المعلم، فإذا لم يحسن الأب تأديب ابنه، ولم يرسله إلى المعلم ظهرت آثار الانحراف في جميع أعضائه خصوصا في لسانه وفقد استعداده للعلم وغلبته المعاصي وأثر فيه الجهل، فيقع للأب ما يقع من سوء عمل ابنه، كما أن الإبن يولد على الإسلام وعلى القابلية للعم والسعادة الدينية والدنيوية فإذا زالت عنه، كان أبواه سببا في ذلك. وكل والد عليه أن يعوّد لسان ولده على الكلام الطيب والألفاظ المهذبة، ويبعده عن الكلام الفاحش المبتذل.

وعلى المتعلم امتثال أوامر أستاذه وتعظيم العلم وأهله وكذلك أستاذه وهذا أمر يمكنه من نيل العلم، فيتواضع له ويخدمه ويدعو له ويقدم حقه على حق سائر المسلمين كما يجب أن يكون كريما معه جادا لا يلعب أو يضحك أثناء سماع العلم.[[7]](#footnote-7)

1. - أبو حامد الغزالي الطوسي: [↑](#footnote-ref-1)
2. - أحمد عرفات القاضي: التربية [↑](#footnote-ref-2)
3. - أبو حامد الغزالي: منهاج المتعلم [↑](#footnote-ref-3)
4. - المرجع نفسه، ص 40. [↑](#footnote-ref-4)
5. - أحمد عرفات القاضي، [↑](#footnote-ref-5)
6. - المرجع نفسه، ص، ص 43، 44. [↑](#footnote-ref-6)
7. - أبو حامد الغزالي: [↑](#footnote-ref-7)